



## العتبة النصية في رواية " شبح الكليدوني " لمحمد مفلح

من النصية الموازية إلى فائض المعنى

بوكرت آمال / طالبة دكتوراه

جامعة البليدة2

د.علي حميداتو

الملخص :

تهدف الدراسات العلمية الحديثة لتقصي العملية الابداعية وتتبع دور المؤلف فيها ، بحكم أنه المنتج لها ، وأن هذا الإنتاج يعكس بالضرورة نظرة مؤلفه وحسه الإبداعي ، والإنتاج الأدبي مرتبط حتما بقواعد وسنن تحدد ماهيته وجوهره ، فالرواية كجنس أدبي مستقل يرضخ لعدد من العناصر والمكونات السردية المتحكمة فيه ، من بين هذه العناصر العنوان الذي يتصل اتصالا وثيقا بالمتن الروائي ، هدف الدراسة هنا يكمن في تقصي مدى التفاعل الحاصل بين العنوان والنص السردى من أجل تحليل هذه الأخير واجتراح معانيه العميقة .

تلعب العتبات النصية دورا محوريا في فهم خصوصية العمل الأدبي ، ومن النادر جدا أن يصدر عمل روائي دون عنوان كعنصر رئيس من عناصر العتبات النصية ، بحيث يساهم هذا الأخير في توجيه القراءة ورسم خطوطها الكبرى ، فالعنوان يساهم في فهم النص وتمظهراته الدلالية استنادا إلى تأويله وإيضاح بنيته التركيبية والبنائية بالقدر الذي يتواءم مع النص السردى.

الكلمات المفتاحية : العتبة ، الدلالة ، التواصل ، السرد .

### Abstract :

The modern scientific studies aim to study the creative process and the role of the author , since the latter is its producer ,and that this product essentially reflects his vision and crative sense .The literary product is mainly linked to rules specifying its purity .The novel is an independent literary genre that has succumbed to a number of narrative elements and components that govern it ,among them the title is closely related to the novel . The purpos of this study is to examine the

interaction between the title and the narrative text in order to analyze the narrative and clarify its deeper meaning .

Textual thresholds play a central role in understanding the confidentiality of literary work , moreover, it is very rare to publish an untitled work as a major element of textual thresholds while the latter participates in guiding reading and drawing .Its main lines , it contributes to the understanding of the text and its descriptive representations based on its structure insofar as it is consistent with the narrative text .

**Key words :** threshold ,meaning,communication, narrative .

### تمهيد :

يعتبر العنوان أهم العناصر التي يستند إليها المناص (النص الموازي) ، لأنه بمثابة عتبة نصية تحيط بالنص ، فهو يحوي العمل الأدبي في كليته وعموميته ، وهو أولى المراحل التي يقف عندها الباحث لتأملها واستنطاقها ، ومنه نجد أقوالا عدة في العنوان ، تمثل وجهة النظر لعدد من الباحثين لأهميته وفعاليتها في الانتاجات الأدبية، حتى أنه أحدث علم خاص Titrologie يعني بدراسة العنوان وفك شيفراته<sup>(1)</sup> .

العنوان عتبة من العتبات النصية الكثيرة التي تطرق إليها الناقد الفرنسي ' جيرار جينيت'<sup>(2)</sup> والتي تساهم في تقصي الدلالات البعيدة للنص بالموازاة مع عتبات المقدمة والإهداء والشكروحتى الاستهلاكات التي يفتتح بها الكاتب فصوله أو روايته ، والغلاف الذي يتموضع عليه العنوان بالإضافة إلى الحواشي والهوامش والتصديرات ، تعتمد الدراسات الحديثة إلى الوقوف أمام هذه الخصائص المميزة للإنتاج الأدبي قصد تحليله لكونها تساهم في نقد الأثر الأدبي وتحليله .

فالعنوان عتبة نصية لا يمكن تجاهلها أو تجاوزها بحكم أنه يجسد هوية النص وجوهره ، وعلى هذا الأساس تولي الدراسات الحديثة أهمية بالغة للعنوان فهو يتقاطع مع النص السردي ويظهر الكثير من جوانبه ، كما أنه يساهم في تحديد معالم النص والعمل على تأويله بحكم وظائفه المركزية المتعددة ، التي حددها 'جيرار جينيت' من قبل في محور من محاور المتعاليات النصية 'المناص' استنتج هذا الأخير أن للعنوان وظائف يضطلع بها ومن بين هذه الوظائف 'الوظيفة التعيينية' بحكم أن العنوان يسي النص ويصنع له



هوية وجودا يعرف به ، و'الوظيفة الواصفة' التي تتصل بالنص السردي اتصالا مباشرا فيعمد النص إلى تفسير العنوان وشرحه استنادا إلى جملة الصيغ السردية التي تحرك النص ، بالإضافة إلى 'الوظيفة الدلالية المصاحبة' التي يمثلها العنوان فيعمد الكاتب إلى التلميح والإيحاء مما يحيل بالضرورة إلى بروز دلالات جديدة كان قد أنتجها العنوان استنادا إلى ما ورد في النص<sup>(3)</sup>.

ومن المتعارف عليه أن العنوان يحتل الصدارة ، من خلال تفردته على ظهر الغلاف ليصف المتن الروائي ويعبر عنه ، مما يجعله يتبوأ مكانا استراتيجيا حيث يكون المسيطر عليه والمهيمن على كنه العمل بشمولية مطلقة ، وبالتالي سيعبر العنوان حتما على موضوع الرواية ويتصل بها اتصالا مباشرا لا يخلو هذا الاتصال من القيمة الرمزية السيميائية التي يتفرد بها العنوان .

فالعنوان أصبح ضرورة ملحة لا يمكن الاستغناء عنها ليس فقط من حيث إنتاج الدلالة ووسم العمل الأدبي ، وإنما لأنه عنصر فاعل في البناء السردي العام لكونه يتفاعل مع الرواية ويساهم في إنتاج دلالتها حين يتم تقصي وقائعها ، وشيفراته المعقدة تبدأ بالتفكك والانحلال حين يساهم النص السردي في بلورة العنوان وشرح مقاصده ومراميه ، لأنه جزء منه ويعبر عن توجه الرواية نفسه وصاحبها ، وبهذا يمكن اعتبار العنوان مكونا هاما من مكونات بناء الأثر الأدبي لا يمكن تجاوز دوره أو التقليل من فعاليته ، إن كان من حيث التعبير عن الرواية أو من حيث إنتاج المعنى ، فالعنوان هو أول من يواجه المتلقي ويبث فيه جزءاً من معالم النص الأدبي اعتمادا على عنصر التشويق والإغراء ، حيث يعمد إلى بث عدد غير متناه من الدلالات في عقل المتلقي ليكون النص هو الميدان الحقيقي للإجابة عن كل هذه التساؤلات ، فالعنوان هنا يحقق الكثير من المقاصد الدلالية البعدية التي تضرب عمق النص السردي ، ولم لا يصبح العنوان مساهما حيويا في عملية تتبع سير أحداث الرواية ما دام الذهن يستحضره في كل مرة .

يحقق العنوان في رواية 'شبح الكليدوني' للروائي الجزائري محمد مفلح الوظيفة مركزية في تأويل النص السردي بالرغم من امتداد هذا الأخير وسعته ، فالرواية من منطلق أنها نسيج محكم الوثاق وذات بنية متينة ستحد من سعة العنوان وتوجهه إلى الهدف

المرجو طرقة بغرض القراءة التأويلية له ، ويظهر جليا للمتلقي أن عملية اختيار العنوان لم تخلُ من القصدية والدقة استنادا إلى المتن أولا وإلى الهدف منه ثانيا.

وبتسليط الضوء على الرواية وكتابتها 'محمد مفلح' ، الروائي الذي سخر قلمه وموهبته ولغته الهادئة البعيدة عن التعقيد والرامية إلى البساطة والإيحاء ، للبحث والتنقيب في التاريخ والتراث الجزائري وبخاصة التاريخ الذي يتصل بالغرب الجزائري ، لكونه يقر أن الرواية تلعب دورا هاما ومحوريا في التأريخ أيضا بأسلوبها الخاص. نلفيه يقول: " في روايتي الجديدة سلطت الضوء على مأساة الجزائريين المنفيين إلى المستعمرات الفرنسية خاصة إلى جزيرة كاليدونيا الجديدة منذ سنة 1864. وكانت هذه الجزيرة الرهيبة سجنا للثوار الذين قاوموا الاحتلال وركزت في عملي هذا على متاعب أحد المنفيين بعد إخماد ثورة الشيخ الأزرق بلحاج المندلعة بمنطقة غليزان وضواحيها (الغرب الجزائري) ، وانطلقت فيه من موضوع الاغتراب الذي يعيشه حفيد أحد المنفيين في هذا الزمن ، ثم سافرت بالقارئ إلى عالم الجراح العميقة ومنها جرح المنفيين الغائر في الذاكرة للأسف ثم نلتفت إليه ولم نخلد أسماء ضحاياه الذين خلفوا بعض أحفادهم في تلك الجزيرة ، ويحملون اليوم أسماء جزائرية ، ومنهم من يتولى مسؤوليات في تلك الجزيرة ، وفي شبح الكليدوني تفاصيل كثيرة مكتوبة بلغة موحية بآراء وإشارات إلى مسؤوليتنا الجماعية في نسيان هذا الجرح الذي خلفه العهد الكولونيالي ، وصراحة لم نستطع حتى الآن تضميده على الأقل بإحياء ذكراهم الأليمة والكتابة عن مأسينا"<sup>(4)</sup> ، فالرواية حسب الكاتب نفسه لن تخرج عن عملية التحسيس التي تمارسها في لفت أنظار الناس إلى التاريخ المهمش والمنسي ، وهذا الشأن يتصل بكل مكونات الرواية ومكوناتها السردية سواء من حيث المتن أو من حيث العتبة النصية الأولى التي تصادف المتلقي في أول لقاء يجمعه بالإنتاج الأدبي.

### 1- تعالق العنوان بالمتن السردى :

تعد رواية " شبح الكليدوني " لمحمد مفلح' نموذجا حافلا بالتميز بحكم أننا ندرس كيفية تمازج العنوان مع المتن السردى ، فالعنوان هنا هو عنوان موضوعاتي إذ إنه يتصل بموضوع الرواية وجوهرها ، ورواية 'شبح الكليدوني' بقدر ما تحمله من اتساع وشمولية حوت بها المتن الروائي مع استقطاب القراء والتأثير فيهم من خلال هذا العنوان العجائبي.



تحسب الكثير من الميزات للكاتب الجزائري ' محمد مفلح ' (5)، إذ إنه يختار عناوينه بدقة بحيث تتماشى مع موضوع الرواية لتكون عناوين موضوعاتية ، روايات الكاتب في العموم ترصد التراث والتاريخ الجزائري فهي متشعبة بالموروث الأصيل الذي تزخر بها الجزائر على امتداد تاريخها الحافل ، ولهذا العناوين المختارة لرواياته تتصل اتصالا وثيقا بالمتن السردي وتُختار بعناية من المؤلف ، مع الحفاظ على جاذبية العنوان وإثارته لاهتمام المتلقي بحكم أن العنوان يشكل أول محطة تربط المتلقي بالإنتاج الأدبي ، فالعنوان يحيل إلى النص ويرمز له وبالتالي لن تنحصر وظيفة العنوان في تسمية الأثر الأدبي ووسمه فقط وإنما تتعداها إلى التعبير عن ماهية النص السردي نفسه ، وهذا ما سنستعرضه في دراستنا الخاصة بهذا النوع من التفاعل بين العنوان والنص السردي ، خاصة وأن الرواية تخدم إلى حد كبير هذا التصور الجامع بين العنوان كعتبة نصية وبين المتن الروائي .

### 2-العنوان وبؤرة التواصل التداولي :

ورد في لسان العرب أن مادة (عنا) تحمل معنى : " الظهور : ويقال : عنت الأرض بالنبات تعنو عنوا وعنا النبات يعنو إذ يظهر عنيت فلانا عنيا او قصدته " ويدل على الوسم او السمة او العلامة " قال ابن سيده : وفي جبهته عنوان من كثرة السجود أي أثر" (6). يتقاطع هذا التعريف اللغوي مع التعريف الاصطلاحي للعنوان إذ إنه يشير في البداية إلى معنى الظهور والالتقاء بين القارئ والكاتب أي أن العنوان سيكون له وجود مادي محسوس ، والمقصدية فالعنوان يحمل شحنة دلالية مذهبية أو سياسية وغيرها ... فهو حتما يخبرنا بشيء ما ، والسمة هي علامة ذلك الكتاب وميزته دون غيره من الكتب الأخرى.

كما عرف 'رولان بارث' العناوين على أنها: " عبارة عن أنظمة سيميولوجية تحمل في طياتها قيما أخلاقية واجتماعية وإيديولوجية " (7) ، فالعنوان بهذا نظام متكامل ينهض على أسس أخلاقية واجتماعية وحتى إيديولوجية ، وبالتالي يحمل في جوفه كل الخصائص التي تمنحه الهوية والحياة حين نأخذ بعين الاعتبار أن العنوان يؤدي الوظيفة التواصلية التداولية ، فهو يستأثر بالاهتمام من المتلقي ويبرز جليا له بحيث يكون العنوان بارزا ومسيطر على الرؤية البصرية إذ يعد أهم مكون يقع على الغلاف .

رواية 'شبح الكليدوني' تستنطق المتلقي وتحرك فيه حس التأويل والتخمين من خلال العنوان ، فبالضرورة إن هذا الأخير يثير الكثير من الحيرة ويستدعي التفكير لمعرفة ما الإيحاءات التي يمكن أن يقدمها هذا العنوان؟ وهل هو منفصل عنه ؟ أم مشارك في صنع الدلالة وإنتاج المعنى ؟ وبالتالي الاقتراب خطوة أكثر من الرواية ، وفي دراستنا هذه سنعتمد على التأويل والتحليل بقدر يسمح لنا ليس بإدراك المعنى الذي يجمع العنوان بالرواية فقط وإنما مدى تمازج المكونين معا في تحديد المرامي البعيدة التي يمكن أن ينحوها الملفوظ الروائي على امتداده المشحون بالدلالات والمعاني .

الرواية رواية معاصرة حديثة النشأة تتصل مع انتاجات المؤلف الأدبية السابقة من حيث المبدأ والفكرة ، تصنف ضمن الروايات التي تسعى إلى إعادة بعث التاريخ المطمور والمهمش في إطار سرد يتجاوز الزمن ويخرقه بوسائله الخاصة ، فروايات الكاتب على العموم تتصل اتصالا وثيقا بالهوية الجزائرية وتتخذ من التراث المادي والمعنوي للبلاد وللشعب مادة خصبة لميلاد الرواية بهيكلها المتعلق بالتاريخ والتراث الشعبي .

عنوان الرواية بعد القراءة الثانية له ، يستحضر في الذهن تاريخا آخر مهمش ومختفي تحت أنقاض النسيان ونقص الاهتمام والتعريف بتاريخ أمة ونضال شعبي المستमित من أجل الحصول على حريتها ، ذلك العنوان الذي لم يكن سوى ملامح شبح إنسان كليدوني ، وبالتالي يعلن العنوان بنوع من التلميح والإيحائية المهمة أن ذلك التاريخ هو الآن في مرحلة كاد أن يتصل بعالم الأشباح التي قد يراها أحد دون آخر ، فهو الآن في المرحلة الأخيرة من مراحل الاندثار والاختفاء ، العنوان بهذا مُوجه للفت الانتباه إلى التاريخ المهمش وتراث الأمة وهويتها التي حُبست في كتب التاريخ المغبرة من جهة ، وفي ذاكرة أناس فارقوا الحياة دون أن يتخذوا ورثة من بعدهم ليرووا قصصهم و ما عاشوه من ضنك وقلق ، وبطولة واستبسال في زمن صعب مباشرة بعد ولوج الاستعمار أرض الجزائر من جهة أخرى .

إن اختيار الكاتب لعنوان 'شبح الكليدوني' من أجل أن يتصدّر الرواية ينم عن رمزية وإيحائية يبثها العنوان في نفس كل من يقرأه لأول وهلة فهو يثير الغرابة والدهشة . وبقليل من التمعن والتفحص في العنوان يبدأ العقل في فك شيفرات وتحليل العنوان ، أول ما يثير انتباه المتلقي كلمة شبح التي تتصل بالخرافة في معناها ، مجرد طيف تائه يمر



في الأرجاء هذا الشبح المتعلق بكلمة 'كليدوني' المنسوبة بدورها إلى جزيرة كاليدونيا الواقعة في المحيط الهادئ القريبة من قارة أوقيانوسيا والتابعة للأراضي الفرنسية ، فالشبح الآن متعلق بمكان محدد 'كاليدونيا' وبالتالي يحتفظ العنوان بأسراره بالرغم من محاولة ربط العلاقة بين الكلمتين في تركيبهما ، ولعل ما سيثيره العنوان في نفس المتلقي الذي يرغب في التعرف على قصة المتن الروائي من خلال العنوان أن الرواية قد تقارب في موضوعها الخرافة والخيال السردي الذي لا يمت للواقع بصلة ، لكن مفردة 'كليدوني' تربط العنوان بالواقع من خلال الإحالة إلى مكان حقيقي ، الملاحظ على هذا العنوان أنه يستقطب اهتمام القارئ ويستفزه ليقرأ العمل الروائي وبالتالي تجتمع الوظائف المضطلة بالعنوان من تعيين للعمل الأدبي ووصفه والإيحاءات المختلفة التي تصدر عنه مع الوظيفة الإغرائية المتعلقة بالمتلقي والعاملة على استثارة الاهتمام والباعثة على الرغبة في بداية رحلة القراءة. فعل اصطفاء الكاتب لهذا العنوان مؤسس على دلالات بعيدة لن تفتح إلا بقراءة النص السردي والتعرف على حيثياته وأحداثه ، فالنص هنا يساهم في فك غموض العنوان والمساهمة في تقريب دلالاته المحيلة إليه ، فالأثر الأدبي لا يسير بعيدا على العنوان لأن هذا الأخير مُختار بعناية وهو يعبر عن جوهر المتن أيضا من حيث الموضوع والفكرة من دون أن يفتقد إلى تلميحه ، فنرى أن كاليدونيا تقع في وجدان الناس الذين هُجروا قسرا من أرضهم الجزائر إلى أفاصي المحيط الهادي وحتى في ذهن ذومهم وأقاربهم بالوطن ، فالشحنة الدلالية التي يحتويها المكان مليئة بالقيم الاجتماعية والإيديولوجية العاكسة لتوجه الكاتب ونظرتة إلى قضية المنفيين الجزائريين بكاليدونيا .

وبالتمحص في النص السردي نجد أن النص يعكس العنوان ويشرحه في أماكن مختلفة منه ، فالسرد الذي ينحوه الكاتب ليس مجرد إعادة تأريخ وحديث عن أناس فقدوا حياتهم من أجل حرية الوطن وعانوا الكثير من المستعمر فقط، وإنما ربط الحاضر بالماضي من خلال إعادة تصور تلك الأحداث الخالدة، وبثها في نفسية الكثيرين ممن يحتضنون التاريخ ويستعظمونه ، لذلك تلعب شخصيات الرواية دورا محوريا في تأدية وظيفة مد جسر التواصل بين الماضي والحاضر ، فها هو 'محمد شعبان' بطل الرواية يعيش عالما خاصا به وله أماله وأحلامه الخاصة : " إنه يحب أن يكتشف كل العوالم الساحرة التي كان يحلم بها في طفولته وبخاصة جزيرة كاليدونيا الجديدة التي نُفي إليها الشيخ امحمد

المنفي ومجاهدو ثورة سيدي الأزرق بلحاج المندلعة سنة 1864م . قد تسمح له حليلة طايب بالإقامة في مزرعتها الجميلة<sup>(8)</sup> ، من خلال هذه الصيغ السردية يتضح أن البطل اتخذ من جزيرة كاليدونيا حلما يريد الوصول إليه وتحقيق أمنية في أن يتعرف على الأماكن التي مر بها جده المجاهد في زمن المقاومة الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي ، ليس هذا كل ما في الأمر ، هو يرغب أيضا في الفرار من حياة العبت واللامعنى التي يعيشها في بلاده حتى أنه بحث طويلا في مواقع التواصل الاجتماعي على أحد يملك رائحة من روائح جزيرة كاليدونيا ، ليتعرف هناك على فتاة 'حليلة طايب': "عرفته على نفسها فاسمها أليمة طايب ، والدتها من الكلدوش المنحدرين من الفرنسيين المنقلين بعد ثورة كومونة باريس ، ووالدها جزائري نفي أثناء ثورة المقراني سنة 1871. تعلم منها أشياء كثيرة عن الكاليدونيين من أصول جزائرية وعددهم لا يقل عن عشرين ألف نسمة ، ازداد رغبة في معرفة تاريخ جده"<sup>(9)</sup> ، يظهر أيضا من خلال هذا المقطع السردى أن البطل يرغب في شدة في معرفة التاريخ المجهول الذي بقي حكرا على ذاكرة والده فقط وفي الأصل كان يجب أن يُعتنى بهذا التاريخ ويدرس لتحفظ مسيرة الرجل البطل جده الراحل من النسيان ويتبوأ مكانة في الأذهان .

فالسرد في الرواية ليس منغلقا عن الموروث التاريخي والتراثي الذي يصير الكاتب على تسليط الضوء عليه ، خاصة التراث المتعلق بمدينة 'غليزان' وإنما يتجاوزه ليوجه نظرة الناس نحو الواقع المرير الذي يعيشه الناس هذا اليوم ، إذ يعلق على هذا بقوله : "اهتمامي بالتاريخ صار الآن هوسا يحثني في كل لحظة على التنقيب في الذاكرة بحثا عن الوقائع المغيبة والجراح المنسية على أمل أن أقدم إضاءة جديدة لفهم حاضرنا ، فالتاريخ الجزائري بحاجة إلى قراءات جديدة ، ومعالجته بجدية هي الطابو الحقيقي كما أرى لأننا بممارسة هذا الجهد سنمنح للأجيال فرصة مواجهة مصيرنا"<sup>(10)</sup> ، فالسرد لم يكن مقتصرًا على شيخ 'محمد المنفي' الذي أرسله المستعمر إلى جزيرة كاليدونيا بل في الأصل يتحدث عن شيخ البطل 'محمد شعبان' الذي يتجول في الأرجاء ، دون أن يحظى بحياة ترضيه ولو بالحد الأدنى ولعل ما يُعزي هذه الشخصية أنها منفتحة على التاريخ إلى حد كبير وميالة إلى الأغاني الشعبية والبدوية الأصيلة الشيء الذي جعلها تنفر من مجتمعها الذي يسير وراء حياة التكنولوجيا والأغاني الصاخبة .





فهذه الشخصية منغلقة على نفسها لكنها في الوقت نفسه حريصة على تتبع تاريخ المنطقة واستهجان المظاهر المشينة المستفحلة في المجتمع كتركيز الكاتب على مافيا العقار ، وأزمة السكن ، والبطالة ، وسطو المال على السياسة ، بالإضافة إلى الممارسات السلبية مثل سرقة السيارات والاكنتاظ الدائم في مراكز البريد بفعل الاستعمال السيئ للتكنولوجيا ونقص السيولة المترتبة عن أزمة البترول ، مع هذا سيكون علي ' امحمد شعبان ' أن يحقق أمنية 'الحاج عبد القوي' في إيجاد قبر جده : " ابحث عنه يا امحمد أريد أن أرى قبره قبل وفاتي ، وأحب أن تتعرف الحكومة على تاريخ سيدي امحمد المنفي وتضحياته كان مقاوما كبيرا ، عاش منفيا في كاليدونيا الجديدة ، وانضم إلى ثورة الكناك وعاش بينهم ، ثم فر من المدينة في سفينة انجليزية تحمل الزيت إلى استراليا . وقضى ثلاث سنوات في الحجاز. ثم رجع إلى الوطن مع موكب حجاج المغرب متنكرا في زي درويش " (11) ، يظهر هذا المقتطف السردي مدى الاندماج والالتحام لعائلة المنفي بتاريخهم وكيف أنهم يتوارثون القصص عنه جيلا بعد جيل ، لأنهم في قرارة أنفسهم يوقنون بأن التاريخ يعبر عن هويتهم خاصة وإن كان براقا وزاهرا كتاريخ 'امحمد المنفي' الذي حارب الاستعمار ببسالة ، حتى نُفي إلى أبعد جزيرة . لكن تعلقه الكبير بهذا الوطن أبي إلا أن جعله يعود إليه ليعيش فيه ويموت في ترابه ، فالاعتزاز بالتاريخ والتأكيد عليه جلي وبارز في كيان الرواية ، لا يقتصر هذا على عائلة المنفي وإنما يتعداه إلى الناس المحيطين بهم: " وكان معلمه الأول بصافي المايدي ، يحثه على الاجتهاد في دروسه ويقول له ، أمام كل تلاميذ القسم ، بأنه من عائلة المنفي العريقة في العلم والتصوف والفروسية " (12) فالإحساس العالي بأهمية التاريخ لا يقتصر على أفراد بل على جماعة هو تاريخ مشترك يعتز به الجميع .

وليس بعيدا عن النص السردي الذي يتأسس على الذاكرة الحية لشخصه ، نلاحظ أن الكاتب يعيد إحياء ذلك التاريخ من جديد عن طريق فرد من أفراد الجيل الجديد ممثلا في شخصية 'امحمد شعبان' الذي سأم من حياته وعمله البائس حسبه : " اعتاد على جر أيامه الرتيبة في مجتمع ساكن لا يفكر في أي عمل مبدع " (13) ، شخصية البطل متمردة و ساخطة على من حولها تبتعد عن كل ما يثير في نفسها عدم الارتياح وبالتالي ترضخ في أحيان كثيرة للاستسلام والهرب إلى كاليدونيا بالفكر والوجدان بالتحديد ، خاصة وأن هذا الأخير تحمس أكثر إلى فكرة المرور على محطات جده الغابرة من جديد بعد أن

وجد تلك الفتاة ، ورد في النص : " يزوره شبح هذا المقاوم المنفي كلما حدثها على الفيسبوك والده هو من ألقى في نفسه بذرة المنفي" (14) ، بالإضافة إلى أنه رأى وتحسس الرسائل الثلاث رسائل من القرن التاسع عشر يحكي فيها الثائر المنفي عن كيفية طرد من الجزائر وإرساله إلى مستعمرات الاحتلال الفرنسي في قلب المحيط الهادي ، شكلت تلك الرسائل دفعا إضافيا للبطل كي يتشجع ويحقق ما كان يتخيله في ذهنه لمدة طويلة ، تعرف على الرسائل بفضل والده الذي ترك له هذا الميراث الأصيل : " ثم التف الحاج عبد القوي نحو الصندوق الخشبي وأخرج منه ثلاث رسائل صفراء مغلطة بكاغط مقوى رمادي ، وسلمها إلى ابنه " (15)

أهم مقطع سردي يجسد صلة العنوان بمتن الرواية : " وطال انتظاره للتعرف على أسرار كثيرة في هذه الحياة الكالحة ، منها مأساة والد جده وسر الجزيرة النائية . منذ تلك الأيام سكنه شبح المنفي " (16) ، وبالتالي تلخص المفردتان الرواية ككل ، والعنوان أيضا يسير وفق مسارها المتصل بكل حيثيات الإنتاج الأدبي ، فهو قادر على استنطاق الرواية والمشاركة حتى في إنتاج المعنى .

رواية 'شبح الكليدوني' تتصل بمستويين للسرد ، المستوى الأول هو بحث البطل 'امحمد شعبان' عن قبر جده الراحل امثالاً لطلب والده ، والمستوى الثاني حياة هذا البطل الخاصة المتذبذبة ، بحيث أنه يعاني في حياته الشخصية من ضغوطات كثيرة سواء من جهة عمله في وزارة الثقافة الذي لم يحبه يوما ، أو من جهة فشله في اختيار شريكة حياته بعد عدة مغامرات حتى تظهر الفتاة الكاليدونية لتبث في قلبه آملا جديدا غير أنه سيتعرض إلى ضغوط كبيرة من أمه وأخته في شأن استقراره وبنائه لعائلة ، الأمر الذي لم يكن يستسيغه .

الرواية حافلة بالمروروث الشعبي البدوي مثلما سبقت الإشارة إليه ، إذ نلمس أن الكاتب يُلبس شخصيات روايته لباسا عربيا أصيلا ، معبرا في الآن نفسه وبقدر كبير عن الجو العريق الذي تمتاز به حياة العرب من كافة النواحي ، ومن ناحية تمسك الناس بتاريخ أجدادهم وتسمية الجيل الصاعد بأسماء السلف الصالح ، يظهر هذا التمسك بالمروروث ما جاء في النص : " بصافي المايدي ، هو أول من أرشده إلى عالم الأغنية البدوية ونصحته باقتناء قرص غنائي للشيخ عبد القادر بوراس بعدما صدح صوته المميز ، ولما سمع امحمد



شعبان يتحدث عن المنفيين إلى كاليدونيا الجديدة وكورسيكا وكيان ، حثه على الاستماع إلى قصيدة "بي ضاق المور" ، وكانت المفاجأة . اكتشف ما كان يرغب فيه :

...لو كان بكيت أبطال رفدوهم في بابور \*\* بي ضاق المور

راه شقوا البحور دارقين وخبرهم ينعاد

راهم مسجونين في جزيرة وسط البحور \*\* بي ضاق المور

علمم الباب و القفل معمد تعماد

عيطة ناس مسلسلين يتمشوا بالكور \*\* بي ضاق المور

جيش الروم معذبهم من بكري حقاد " (17)

التراث البدوي قابع في وجدان الشخصية البطلة ، خاصة وأنه ينسجم مع ميولها وأحلامها إلى حد كبير ، فالأغنية البدوية المختارة في هذا المقطع السردي تثير المواجه في نفس 'امحمد شعبان' ، وهو يتخيل جده المنفي في الجزيرة النائية رفقة آخرين ، مقيدون بالسلاسل يعذبون من طرف الاحتلال الغاشم ، و بهذا نصل إلى فكرة أن التراث هنا في خدمة الموضوع العام الذي من أجله حُطت أحداث النص السردي ، والعنوان كذلك فالكتاب بهذا يُحيي التراث المهمش من قبل السلطات حسبه : "لماذا غيب المؤرخون مأساة هؤلاء الثوار المنفيين إلى كورسيكا وكاليدونيا الجديدة ؟ لا نعرف حتى أسماءهم . أمر عجيب . ولماذا سكت الناس عن هؤلاء المنفيين الذين لم تذكرهم الكتب المدرسية ، ولم تطلق أسماءهم على الشوارع والمؤسسات ؟ " (18) .

فالناس في القرى والمداشر لا يزالون محافظين على هويتهم وأصالتهم إن كان من خلال زوايا العلم وذكر الله ، أو من حيث إصرارهم على رواية تاريخ المنطقة وأهلها ، التاريخ الذي يعود بهم إلى زمن تواجد الاستعمار الفرنسي بالجزائر وجرائمه البشعة و المتعددة حتى أن الكاتب أشار في متنه الروائي إلى أحد هذه الجرائم : " ... إن جريدة الأخبار نشرت مقالا مذهلا يتحدث عن محرقة ارتكها الكولونيل بليسييه في منطقة الظهرة . إنها محرقة شنيعة . ثم قرأ فقرات أخرى عن اختناق أولاد رياح بالدخان بعدما أمر الكولونيل بليسييه بإضرام النيران في حزم الحطب والتبن عند مداخل المغارة " (19) ، أشار للجريمة ليؤرخها في ذهن متلقيه ويحفظ بهذا تاريخا هاما من النسيان .

وبالعودة إلى الرواية نلّفها متعددة الحقول ، بحيث أن الكاتب يتتبع فيها مسار البطل 'امحمد شعبان' من زوايا متعددة سواء من وجهة التاريخ العريق الذي تحظى به عائلته ، التاريخ الذي همش وبقي حكرا على أفراد معينين ، ورحلة البحث عن القبر الضائع لجده الثائر ، ومن زاوية أخرى يسלט الضوء على حياة هذا البطل في الواقع التائهة هي الأخرى في إيجاد مساريشبع تطلعات 'امحمد شعبان' ويحقق أحلامه وآماله المناسبة ، والذي انتهى برحيله إلى مكان مجهول بعد أن طُرد من عمله وباع سيارته وقطعة الأرض التي كانت بحوزته ليبدأ في رحلة مهمة لا يعرفها إلا هو ، فالبنية السردية في الرواية تحاكي الواقع المتأزم الذي تعيشه الجزائر من خلال إشارات تسلت في غمرة صراع الشخصيات مع هذا الوضع المتردي ، فسكربترة 'امحمد شعبان' عقيلة الكاف' تنهي حياتها بالانتحار ، والعمارة التي تشرف على الانقضااض وسط وعود المسؤولين بالترحيل غير أن الناس تعاطفوا وجدانيا مع جدران المكان وودوا لويبقون فيها لأنها تحمل ذكرياتهم ، كلها قصص بثها الكاتب في ثنايا روايته ليجسد ملامح شخصياته وطريقة تعايشها مع الظروف المحيطة بها.

تلك الحقول المتعددة تتصل بالحقل الرئيس في الرواية والذي يتمحور حول البحث في تاريخ الثائر 'امحمد المنفي' والسفر إلى كاليدونيا الجديدة ، أما بخصوص النسق الذي تسير عليه الرواية فهو نسق متواتر ينتقد الواقع من جهة ويظهر أيضا محدودية تفكير بعض الأشخاص في ظل تنامي أزمة ما بعد البترول من جهة أخرى ، وكيف أن بعض الناس الآن يركضون وراء أساسيات العيش بهم كبير ، والبعض الآخر يعاني عدم القدرة ونقص الحيلة للخروج بحلول جذرية تقيهم من انجراف الأزمة ، والبطل من كل هذا يستنكر الوضع المتدني الذي وصل إليه الناس لذلك يعيش حياة انعزال فكل مشاعره وأحاسيسه هي الآن تقطن في مزرعة 'اليمّة طايب' الكاليدونية وهو الآن ليس سوى جسد بلا روح مجرد شبح .

### (3)الخلاصة :

بالعودة إلى الاستنتاج القائل بأن العنوان حامل للنص ومحيل إليه نلمس القصصية في اختياره حتى وإن كان ذا طابع عجائبي خرافي ، فالمسيرة التي سيقطعها الشبح الكيلدوني حتى يصل إلى الجزائر ليعيش فيها ، دون أن تبقى له هوية أو أثر يربطه بها وكأنه



عاد كطيف تعكس الكثير من المكونات المترسبة في ذات الشخصية الميته جسدا والحية في ذاكرة محبيها وأقربائها ، لكن ليس بالقدر الذي يسمح لها في أن تخلد في ذاكرة جيل بأكمله بفعل تجاهل التاريخ وتجنبه.

فالعنوان كآلية سيميولوجية ينفذ في قلب المتن الروائي ويتسلط عليه ليزوب في أرجائه ويتماهي فيه بحيث يشارك في إنتاج الدلالة القريبة والبعيدة في آن واحد ، على أن المنفي الذي عاد إلى وطنه بعد زمن طويل ليس الآن سوى شبح يحوم في ذهن حفيده ، هذا الأخير بدوره يرغب في أن تحتضنه كاليدونيا ويتخلص من حياة اللاجودي حسبه والفراغ المترص به ، لم يعد يتحمل تلك الحياة أو يطيقها فهو الآن يعاني الاغتراب ، لتتقاطع الأزمنة وتندمج الأجيال بفعل التاريخ المشترك لكن كل حسب توجهه الخاص.

نستنتج أن العنوان نص حامل لسر الملفوظ الروائي من مقارنة النص السردي بعيدا عن الشكلية التي يتورط فيها العنوان من منظور أنه يسمي النص ، وأن لا رواية في الغالب بدون عنوان ، لن يكون من السهل إدراك المعالم الحقيقية للملفوظ الروائي دون المرور على عتباته أولا فهي التي تؤسس لعملية القراءة الحقيقية مع توخي الموضوعية في التحليل بعيدا عن غياهب التأويل وشطحاته .

### الهوامش:

- (1)-جميل حمداوي ، السيميوطيقا والعنونة . مجلة عالم الفكر.ع.3.جانفي /مارس 1997.ص.98.
- (2)-برزت نظرية المتعاليات النصية على يد الناقد والباحث 'جيرار جينيت' إذ أسس فيها إلى خمس متعاليات نصية (المناص ، التناص ، الميئانص ،التعاليق النص ومعمارية النص) .
- (3)-عبد الحق بلعابد ، عتبات ( جيرار جينيت من النص إلى المناص). منشورات الاختلاف (الجزائر) 2008.ص.23.
- (4)-مفلاح الرواية التاريخية تدون ما أهمله المؤرخون .أنظر الموقع [www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net)
- (5)-محمد مفلاح روائي وقاص وباحث في التاريخ والتراث من مواليد 28ديسمبر 1953 بولاية غليزان (الجزائر) . شرع في نشر مقالاته الأدبية منذ السبعينيات من القرن الماضي بملحق "الشعب الثقافي" الذي كان يشرف عليه الروائي الطاهروطار . [www.wikipedia.org](http://www.wikipedia.org) زيارة الموقع كانت بتاريخ 2017/11/23.
- (6)-أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (المعروف بابن منظور) . لسان العرب . مادة (ع ن ا) . دارصادر.ج.15.ص 101-107.
- (7)-عبد الحق بلعابد ، عتبات .ص. 43.
- (8)-محمد مفلاح ، شبح الكليدوني . دارالمنتهى (الجزائر).ط 2015.ص.06.
- (9)-الرواية ، ص.15.

(10)-مفلاح الرواية التاريخية تدون ما أهمله المؤرخون .[www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net)

(11)-الرواية ، ص 33

(12)-الرواية ، ص 6

(13)-الرواية ، ص 14

(14)-الرواية ، ص 14

(15)-الرواية، ص 30

(16)-الرواية ، ص 6

(17)-الرواية ، ص 42

(18)-مفلاح الرواية التاريخية تدون ما أهمله المؤرخون .[www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net)

(19)-الرواية ، ص 87.

\*\*\* \*\*